سورة الأحقاف

obeikandl.com

﴿ سورة الأحقاف ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾

أى ما كنت خارجاً عن الرسل ولا شاذاً عنهم فى تسليمهم القياد لله العلى الكبير، فالرسل هم سادة التفويض حتى قال قائلهم:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾،

فالأنبياء لا يرون لهم نجاة بعملهم ولا بمنصبهم ولا بقربهم من الله عز وجل، حتى قال رسول الله ﷺ: ((**لن يدخل أحد الجنة بعمله**))

قالوا: حتى أنت يا رسول الله ؟

قال: حتى أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

وهذا الشاهد هو عبد الله بن سلام وذلك لبقاء المعرفة فى صدره، وانتفاء الجحود والجمود من فؤاده، فانتقلت روحه إلى عالمها الأصلى لرؤيته للحق بلا إنكار منه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

اعلم أيدنى الله وإياك برحمة منه أن أعظم الطاعة هى الاستقامة، وهى صعبة المنال إلا على من وفقه الله عز وجل، وهى شاملة لمجموع الأوصاف والكمالات الآدمية.

وهى درجات:

فاستقامة الرسل والأنبياء أعلى من استقامة الصديقين وليس لهم إلى سبيلها منال.

واستقامة الصديقين والأولياء ليس للعوام إليها منال.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۝ ﴾

كراهتها مما يصيبها من آلام الأمانة الإلهية أثناء الحمل والوضع، ولكنها آلام لذة فى نظرها، لما تنتجه لها من ثمرة تثلج فؤادها.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾

وذلك لكون الأربعين هو عمر بداية تلقى الكمالات الإلهية والواردات الربانية وهو عمر النضج، ولذلك بعث فيه الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين، سوى ما حكاه الفخر الرازى فى تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب من أنه – أى يحيى عليه السلام – قد أوتى النبوة قبل الأربعين.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ ﴾

وبهذا يعلمنا الحق تعالى آداب التلاوة والإنصات إلى كلامه عز وجل، وهو واجب عند السادة العارفين حتى أن أحدهم إذا خاف على نفسه أن لا يوفى القرآن حقه قفل المذياع وأبى أن يستمع إليه، لكونه فى هذا الوقت غير جاهز لسماعه لانشغاله بأمور أخرى.

وقد كان هذا مذهب شيخنا إبراهيم صالح كما أخبرنى ﷺ قال: ربما لم أجد فى نفسى الخشوع والحضور الكامل فأمسك.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

الإعياء من صفة الحدوث والخلق، وهو يناقض صفات الربوبية، سبحانه وتعالى عنا يشركون، ولذا فإنه سبحانه وتعالى قيوم السموات والأرض، وهو القائم الحقيقى والسارى الحقيقى والممد الحقيقى والقابض الحقيقي، ولولاه ولولاه ولولاه ولولا سريانه فى ذرات الكون العدمية لا ستحالت تلك الذرات إلى صفتها العدمية الأولى، ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وذلك لكون أولى العزم هم أعظم الرسل صبراً، فكانوا قدوة للحبيب المصطفى ﷺ، وكان فى ذكرهم سلوان له ﷺ، وعن هذا أخبرنا

المرتضى المصطفى ﷺ فقال: رحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر.

obeikandl.com